أقسامُ النفسِ وطبيعتِها في القرآنِ وفي كلامِ العترةِ الطاهرة

دعاء حسون كاطع الابراهيمي
أ.م.د. أقبال وافي نجم
جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية

The divisions of the soul and its nature in the Qur'an and in the words of the pure progeny

Doaa Hassoun Katea Al-Ibrahimi
Asst.Prof.Dr. Iqbal Wafi Najm
Karbala University / College of Islamic Sciences
Email: doaa002386@gmail.com

ملخص البحث

إنّ بناء ذات الانسان وتطويرها غير ممكن من دون جهاد النفس ، وتهذيبها من الخطايا والأمراض والرذائل الأخلاقية ، فيحتاج الفرد الى معرفة هذه الموانع التي تحول بينه وبين سبيل البناء ، والتطور والقرب الالهي و معرفة الداء وطرق علاجه ، ومعرفة الآثار والنتائج المترتبة عليها.

الكلمات المفتاحية : أقسام النفس ، القرآن ، العترة الطاهرة .

Abstract

development of the human self is not possible without jihad of the soul and purifying it from sins، diseases and moral vices. The individual needs to know these obstacles that prevent him from the path of construction and development، and divine proximity، and knowledge of the disease and ways to treat it، and knowledge of its effects and consequences.

Keywords: sections of the soul, the Qur'an, the pure progeny.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وضع القرآن الكريم الأسس والأصول في بناء الانسان وتطويره ، وهذه الأسس والأصول لا يستخرجها سوى أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنّ لهم الأهلية الكاملة للتأسيس والتأصيل فعلًا وقولًا، ويتضح ذلك عبر ما اختصوا به من صفات ومزايا متفردة تعطيهم هذه الأهلية؛ كونهم عليهم السلام الثقل الثاني والجهة الناطقة المقابلة للكتاب ولن يفترقا عنه ، لديهم امكانية استنطاق النص القرآني لا عند غيرهم ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال:(إنّي تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنّهما لن يفترقا حتى يَرِدا علي الحوض)[1]

فالقرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله ، وأودعه الى الأوصياء من بعده أهل البيت عليهم السلام ، وأمر الناس بالتمسك به واتباعه، ﴿وَهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، فمن أراد البناء والتطوير فليسلك سبيله ويهتدي بهداه.

وقد تضمن هذا البحث مطالب منها:-

المطلب الاول – المطلب الاول – اقسام النفس في القرآن الكريم

المطلب الثاني – العوامل والصفات التي تساعد على بناء الانسان وتطويره

المطلب الثالث – اقسام النفس وفق طبائعها عند أمير المؤمنين عليه السلام

البحث– اقسام النفس وطبيعتها في القرآن وكلام العترة

إنّ بناء ذات الانسان وتطويرها غير ممكن من دون جهاد النفس ، وتهذيبها من الخطايا والأمراض والرذائل الأخلاقية ، فيحتاج الفرد الى معرفة هذه الموانع التي تحول بينه وبين سبيل البناء ، والتطور والقرب الالهي و معرفة الداء وطرق علاجه ، ومعرفة الآثار والنتائج

(١) وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م ، طباعة ونشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان ، ٢٧ / ٣٤ .

(٢) سورة الانعام ، الآية : ١٥٥ .

المترتبة عليها.

المطلب الاول – أقسام النفس في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم تقسيمات النفس وهي :

النفس اللوامة :﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1]، جاء عن علي بن ابراهيم القمي قال: (نفس آدم التي عصت فلامها اللهّ عزّ و جلّ)[2]، النفس اللوامة التي تلومه على المعصية والتثاقل في أداء الطاعات.

جاء في وصية الرسول ﷺ لابن مسعود : (يا ابن مسعود أكثر من الصالحات والبر، فإنّ المحسن والمسئ يندمان يقول المحسن: يا ليتني ازددت من الحسنات ، ويقول المسئ: قصرت، وتصديق ذلك قوله تعالى « ولا أقسم بالنفس اللوامة)[3]

النفس الامارة بالسوء : ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4]، قال أمير المؤمنين ﷺ وقد مرّ بقتلى الخواريوم النهروان: (بؤسا لكم، لقد ضركم من غركم ، فقيل له من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضل والأنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأماني وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار)[5]

وهذه النفس تتبع هواها بحيث لاترى أمامها سوى ماتتمنى الحصول عليه من الرغبات والشهوات دون الالتفات الى الدين ؛ لذلك اتباع هذه النفس تقود الى التيه والضلال والظلم، فيستلزم أنْ يكون هناك دافع للتصدي لهذه النفس وهو الخوف من

(١) سورة القيامة ، الآية : ٢ .

(٢) البرهان ، البحراني، ، ط٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ، مطبعة ولي العصر، ايران-قم ، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات ،٥ / ٥٣٤ .

(٣) بحار الانوار ، المجلسي ، ط١ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، منشورات مؤسسة الاعلمي بيروت-لبنان، ٧٤ / ١٠٤ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٥٣ .

(٥)نهج البلاغة ، خطب أمير المؤمنين ﷺ، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ،الاعلمي للمطبوعات ،طُبع باشراف العتبة الحسينية المقدسة . ٤ / ٧٧ .

الوقوع في المعصية والخوف من عواقبها.

عن الامام علي عليه السلام :(النَّفسُ الأمّارةُ المُسَوِّلَةُ تَتَملَّقُ تَمَلُّقَ المُنافِقِ ، و تَتَصَنَّعُ بِشِيمَةِ الصَّديقِ المُوافِقِ حتّى إذا خَدَعَت و تَمَكَّنَت تسَلَّطَت تَسَلُّطَ العَدُوِّ ، و تَحَكَّمَت تَحَكُّمَ العُتُوِّ ، فأورَدَت مَوارِدَ السُّوءِ)[1] ، فمرض النفس عبر عنه (بالأمّارة) ، وهذا المرض الذي يتغلغل في هذه النفس ويجعلها أمّارة بالسوء هو النفاق والطغيان قال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾[2]، فمتى ماسمح لها الانسان تمردت وتجاوزت الحدود.

النفس المطمئنة : قال تعالى : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[3]، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسيرها: (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، إِلَى مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً بِالْوَلَايَةِ مَرْضِيَّةً بِالثَّوَابِ فَادْخُلِي فِي عِبادِي يَعْنِي مُحَمَّداً وَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ ادْخُلِي جَنَّتِي)[4].

النفس المطمئنة مرضية بالولاية ؛ لأنّها اقترنت بذكر الله ولم تفارقه أبدا في كل أحوالها ، ويعرض على صاحبها الهدوء والسكينة والوقار والاطمئنان ، وتكون راضية بما قدّر الله لها وكتب وحكم به، فلا تزيغ ولاتسخط، بل تستلزم طريق العبودية.

إنّ النفس بحاجة الى مراقبة وتهذيب باستمرار؛ لكي لاتقع في طاعة الشيطان وتنقاد له، فاهمال النفس وعدم تربيتها تؤدي الى الهلاك، وبالعلم والمعرفة يدرك نفسه، يقول الامام علي عليه السلام:(العقل صاحب جيش الرحمن ، والهوى قائد جيش الشيطان والنفس متجاذبة بينهما)[5]، فالجيشان يتصارعان على أرض نفس الانسان.

وحقيقة هوى النفس هو اتباع الأوامر الصادرة عنها سواءً كانت خيرا أم شرًا، واتباع الهوى مما تخوف منه أمير المؤمنين عليه السلام علينا منه بقوله : (إنّما أخاف عليكم اثنتين ، اتباع الهوى

(١)ميزان الحكمة ، محمد الريشهري، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، طباعة دار الحديث، توزيع دار احياء التراث العربي ،بيروت-لبنان ، ١٢ / ٣١٠ .
(٢) سورة العلق ، الآية : ٦ .
(٣) سورة الفجر، الآية : ٢٧ .
(٤) البرهان : ٥ / ٦٥٧ .
(٥) ميزان الحكمة ، محمد الريشهري : ٣ / ٢٠٣٨ .

وطول الأمل؛ أمّا اتباع الهوى فإنّه يصد عن الحق، وأمّا طول الأمل فينسي الاخرة)[1]، فهذا الاتباع له الاثار الكبيرة على الانسان لاسيما إذا كانت النفس أوامرها بالسوء، فإنّها تضل الانسان عن سبيل الحق والطريق المستقيم وهل بعد سبيل الحق إلّا الضلال لذا فإنّ حكمة الله تعالى كانت واضحة بضرورة تجنب هوى النفس وطاعتها قال تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[2]، وهذا الاتباع يكون منشأ للأمراض الاخلاقية القبيحة التي منها:

الحسد وهو حالة نفسية يتمنى صاحبها زوال النعمة عن صاحبها، أو يسعى هو بإزالتها حتى وإنْ لم يردها لنفسه وهو من أبشع الرذائل الاخلاقية وأبغض الصفات، وهو يختلف عن الغبطة؛ لأنّ الغبطة هي تمني النعمة دون تمني زوالها وهي من الصفات المحمودة[3]، والحسد آفة الدين كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام:(آفة الدين الحسد، وحسب الحاسد ما يلقى)[4] كما أنّه رأس الرذائل والعيوب؛ لأنّه تتولد منه أمراض ومفاسد أخرى كالعجب وفساد الأعمال وغيرها، والحسد لايجتمع مع الايمان، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:(لايجتمع الحسد والايمان في قلب امرئ)[5].

وللحسد أسباب كثيرة، أهمها قلة الايمان وضعفه في النفس، فالحسود ساخط على الله غير مؤمن بعدله وحكمته وحسن تقديره؛ فضلا عن أنّه يترتب على الحسد نتائج سلبيه كثيرة منها: أنّ الحسود دائما يشعر بالهمّ والغمّ، وهو يعيش حالة من الانقباض والكآبة ويتألم لمجرد سماعه بنعمة تصيب غيره، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحسود كثير الحسرات

(١) الكافي ،الكليني ، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، طباعة ونشر دار المرتضى ، بيروت-لبنان ، ،ج٢، ص٣٣٦.
(٢) سورة، الآية :٢٦.
(٣) ظ: الاخلاق والآداب الاسلامية، عبد الله الهاشمي، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، طباعة دار القارئ بيروت-لبنان ،١٩١-١٩٢.
(٤) مستدرك الوسائل ، الميرزا النوري، تح مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م د.ط . ،ج١٢، ١٧.
(٥) المصدر نفسه ، ٢٣.

متضاعف السيئات)[١] ، والحسد يأكل دعائم الايمان ويوهن علاقة الانسان بربه ، كما أنّه يحجب العقل عن إدراك حقائق الأمور ، ومن نتائجه أيضًا يسلب الانسان أصدقاءه فيؤدي الى تمزق روابط الألفة والمحبة بين الناس قال أمير المؤمنين عليه السلام : (الحسود لا خلّة له)[٢]، ويمكن لعلاالحسد طريقان: الأول : طريق علمي وذلك بأنْ يتأمل الانسان جيدا في النتائج والعواقب الضارة للحسد على المستوى الروحي والبدني ، وأيضًا يتأمل في جذور ودوافع هذه الحاله في النفس فإذا كان السبب ضعف الايمان وعدم المعرفة ، فعلى الانسان أنْ يعمق أسس المعرفة والايمان في قلبه، والطريق الثاني : عملي وهو أنْ يتكلف الحاسد ويروض نفسه على اظهار المحبة للآخرين ، وأنْ يعمل خلاف ما تريد نفسه ، ومع تكرار هذه الأعمال يعيش الانسان حالة الرضا[٣]، فالانسان الذي يجاهد نفسه ويتخلى عن هذه الصفة يستطيع أنْ يعمل على بناء نفسه وتطويرها لأنّه يكون في حال استقرار وطمأنينة.

الكِبر: هو من الرذائل الأخلاقية الناتجة عن اتباع هوى النفس ، هذه الصفة تدعو الانسان الى التعاظم والتعالي على الآخرين ، لما يراه الانسان في نفسه من التفوق والتقدم على الناس[٤]. وهي صفة يبغضها الله تعالى، ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[٥] ، وقد أحبط الله عمل ابليس نتيجة لتكبره ، عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول في خطبة له :(فاعتبروا بما كان من فعل الله بابليس ، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة ، لا يُدرى أمن سني الأرض أم من سني الآخرة عن كِبر ساعة واحدة)[٦] وللإنسان المتكبر علاماتٌ يُعَرف بها تظهر على ملامح وجهه ، وفي أقواله وأفعاله ، فهو يتحايل في مشيه وتراه يشيح بوجهه عمن يحدّثه، ويتحدث كثيرا عن نفسه بعبارات مبالغة ، وتراه يجلس

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري ، ج١٢ ، ٢٢ .
(٢) المصدر نفسه، ٢٣ .
(٣) انوار الحياة ،جمعية المعارف الاسلامية الثقافية-مركز نون للتاليف والترجمة، نشر دار المعارف الاسلامية الثقافية، ط١، ٢٠١٦م ، ٦٣- ٦٥ .
(٤) ظ: المصدر نفسه ، ٦٦ .
(٥) سورة النحل ، الآية : ٢٣
(٦) نهج البلاغة ، خ ٢٨٧ .

في الصفّ الأول من المجالس ، ويتجنب معاشرة الفقراء والمحتاجين ، ولا يسعى لمساعدة أحد ، كلّ هذه الأمور لها أسباب ودوافع تصورها النفس للإنسان ، فيرى نفسه الأكمل والأفضل وقد يكون هذا الكمال نابعًا من أمور دنيوية من قبيل: الحسب والنسب الشريف، وكثرة الأولاد والمال ، والقوة البدنية و... ، وأيضا ضعف الايمان والجهل والعجب أحد مناشئ ، وأسباب الكِبر[١].

ويمكن أيضا أنْ يعالالكِبر بطريقتين: الأولى: طريقة علمية عن طريق تفكر الانسان بنفسه ، وأنّه خُلق من نطفة وهو كائن ضعيف عاجز لا يرد عن نفسه ضرًا ، وأنّ نهايته جيفة نتنة ، يقول الامام الباقر عليه السلام :(عجبا للمختال الفخور! وإنّما خُلق من نطفة ، ثم جيفة، وهو بين ذلك لا يدري ما يُصنع به)[٢] ، الثانية : طريقة عملية يرى الانسان عبرها خطورة بقاء هذه الرذيلة الاخلاقية على ايمانه ومصيره في الآخرة ، وأفضل سبيلٍ هو أنْ يعمل بما يضادها؛ أي كلّما دعته نفسه ليتكبر على الاخرين يقمعها ويخالف أوامرها ، وأنْ يتواضع لهم، فقد رسم لنا أمير المؤمنين عليه السلام هذه الطريقة ؛ للتخلص من هذه الصفة فقال عليه السلام: (ضادّوا الكِبر بالتواضع)[٣].

الجُبن : هو الخوف غير المنطقي ، وهو من رذائل الاخلاق ؛ لأنّه يورث الانسان الذلّة، والصِغار وتفضي إلى أنْ يتسلط عليه عدوه[٤] ، عن الامام الباقر عليه السلام قال:(لا يكون المؤمن جبانًا ولا حريصا ولا شحيحًا)[٥] ، فالمجتمع الذي يتصف أفراده بهذه الصفة يكون ذليلا خاضعا لسياسة الظالمين ، غير قادر على مواجهة التحديات ، ولا يرجى له التكامل في مجالات الحياة، فيكون بعيدا عن تحقيق الأهداف الإلهية.

وتأتي هذه الصفة نتيجة لضعف الايمان ، وسوء الظن بالله تعالى فالإنسان المؤمن الذي

(١) ظ: انوار الحياة ، ٦٦.
(٢) الكافي، الكليني ، ج٢، ٣٢٩ .
(٣) الكافي، الكليني ، ج٢، ٣٢٩ .
(٤) ظ : انوار الحياة ، ٧١.
(٥) بحار الانوار ، المجلسي ،٧٢، ٣٠١.

ينطلق في حياته من موقع التوكل على الله ، والتصديق بوعده والتسليم لولي الأمر ، فلن يذوق طعم الخوف أو الذلة والمهانة ، ولن يتزلزل أمام التحديات ، كما أنّ الانسان يستطيع التغلب على هذه الصفة عبر التفكر بالآثار السلبية على صعيد الفرد والمجتمع ، وكذلك السعي لإزالة الحجب المظلمة في القلب المتمثلة بسوء الظن بالله لكي يشرق نور الايمان والتوكل على الله تعالى[1] .

إذن إنّ جميع الصفات النفسانية قابلة للإصلاح ، فالإنسان الذي يجاهد نفسه ؛ ليتخلى عن رذائل الاخلاق سيصل الى الكمال ويبني نفسه ، ويسعى لأجل بنائها عبر اتباع المنهج الذي رسمه لنا الثقلان .

المطلب الثاني – العوامل والصفات التي تساعد على بناء الانسان وتطويره :

هناك الكثير من العوامل والصفات التي تساعد على بناء الانسان وتطويره ، ولاسيما إذا كان منبه النفس اللوامة مفعل عنده بمخالفة نفسه الامارة ، وعدم اتباع هواها ؛ لأنّ اتباع الهوى نتيجته ضياع سبيل الله ، والخروعن ولايته والدخول في ولاية الشيطان ، واتباع خطواته المزينة وبالتالي سيكتسب الصفات والعوامل المضادة والسلبية ، والانسان خُلق ليصل الى الارتقاء وينال السعادة من ارتباطه وتمسكه بالطريق المستقيم ، فالذي يسعى لأنْ تكون نفسه لوامة ، أو مطمئنة تساعده هذه العوامل وهي :

الصدق، وهو من أشرف الفضائل والمزايا الأخلاقية ، وهو مطابقة القول لما في القلب فإنْ كان ما يضمر القلب خلاف ما يجري على اللسان ، صار كذبا كما وصف الله بذلك المنافقين اذ سماهم كاذبين ، ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[2] ، فالصدق ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية ومقوماتها الأصلية ؛ لشيوع التفاهم والتآزر بين أفراد المجتمع ، وللصدق صور وأقسام أبرزها : الصدق في الأقوال ، وهو الاخبار عن الشيء على حقيقته ، والصدق في

(١) ظ : انوار الحياة ، ٧١،
(٢) سورة المنافقون ، الآية : ١ .

الأفعال وهو أنْ يطابق القول العمل، والصدق في العزم أي التصميم على فعل الخير، وأيضا الصدق في النية أي يطهر الانسان نيته من شوائب الرياء ، أو ماشابه وأنْ يخلص لله تعالى في القصد[١] ، وعن الامام الصادق عليه السلام قال:(من صدق لسانه زكى عمله)[٢] ، فأهمية الصدق للانسان تكمن بكونه لبنة أساسية من لبنات بناء الانسان التي يعتمد عليها.

العدل: وهو الكف عن الظلم ورفعه ، واعطاء كل ذي حقّ حقّه ، فعدل الانسان مع نفسه هو سلوكه طريق الاستقامه ، وعدله مع غيره اعطاء كل ذي حقّ حقّه[٣]. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[٤] ، لقد فُطرت النفوس السليمة على حب العدل وبغض الظلم ، والبشر على اختلاف شرائعهم ومبادئهم يقدسون العدل ، ويتفانون في سبيله وكيف لا يكون ذلك وهو رأس الايمان ومن صفات أولي الأمر، الذي من تمسك به قاده الى جنة الرضوان وهو سر بناء المجتمعات وتطورها ، وما تلاشت الحضارات إلّا بغياب العدل ، وقد كان لأهل البيت عليهم السلام المثل الأعلى والدور الكبير في تطبيق العدل ، فأقوالهم وأفعالهم دروسا خالدة تنير للانسان طريق الحق والرشاد ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام (وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ)[٥] .

وللعدل وجوه منها : عدل الانسان مع الله تعالى فهو الذي خلقه وأفاض عليه من النعم والكرامات ما لا يحصى، ومقتضى العدل والانصاف أنْ يؤدي الانسان ما عليه من واجبات تجاه الاله المنعم عبر ايمانه، وتوحيده والايمان برسله وحججه على عباده وطاعتهم جميعا ، عدل الانسان مع المجتمع عبر رعاية حقوق أفراده ، وحسن مداراتهم وحب الخير لهم ، وأيضا عدل الحكام وهم أجدر الناس بالعدل وتطبيقه ليسود الأمن والسلام[٦].

(١) ظ : انوار الحياة ، ٨٢.
(٢) الكافي ، الكليني ، ج٢، ١٠٤.
(٣) ظ: الاخلاق والاداب الاسلامية ، عبد الله الهاشمي ،٢٦٤،
(٤) سورة النحل ، الآية : ٩٠.
(٥) نهج البلاغة، خ٢٢٤.
(٦) ظ : انوار الحياة ، ٨٥.

فمتى ما كان الانسان مع الصادقين اكتسب صفتهم ، أو كان عادلا في كل شؤون حياته استطاع أنْ ينهض بنفسه ، ويستخرج تلك الطاقات والامكانات المودعة فيه ليبني نفسه ويطورها.

القناعة: هي الاكتفاء بقدر الحاجة من المال ، أو غيره من أمور الدنيا ، وهي صفة تعرب عن عزّة النفس وكرم الأخلاق ، فالقانع لا يطمع بما في أيدي الناس بل يكتفي بما قسّمه الله تعالى له فهو مرتاح البال ومطمئن القلب، عن الامام الصادق عليه السلام قال:(من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) [١]

ولصفة القناعة أهمية كبيرة ، وأثر بالغ في حياة الانسان ، فهي تحرره من عبودية المادة ، واسترقاق الحرص والطمع ، فالقناعة تمدّ صاحبها بصفاء ويقظة روحية وهي كنز كما قال أمير المؤمنين عليه السلام (لا كنز أغنى من القناعة)[٢].

الزهد: صفة وفضيلة ، وهي من مقامات السالكين الطريق الى الله تعالى وهذه الحقيقة أشار اليها الامام الصادق عليه السلام ؛ ليبين معنى الزهد بأنّه(تركك كل شيء يشغلك عن الله)[٣] لأنّه من المستحيل العروالوصول الى البناء الروحي ، والنفس متعلقة بالشهوات قال تعالى:﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ﴾[٤] .

وقد بيّن الامام الصادق عليه السلام نتائج وآثار هذه الصفة بقوله:(من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدنيا ، داءها ودواءها ، وأخرجه منها سالما الى دار السلام)[٥]

الايثار: سجية الأبرار من أرفع درجات الجود والكرم ، وهو أنْ يجود الانسان بالعطاء حينما يكون بأمس الحاجة إليه .قال تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

(١) الكافي، الكليني ، ج٢، ١٣٩.
(٢) بحار الانوار ، المجلسي ، ج٦٦، ٤١١.
(٣) مستدرك الوسائل ، الميرزا النوري ، ج١٢، ٤٥.
(٤) سورة الكهف ، الآية : ٧.
(٥) وسائل الشيعة ، الحر العاملي، ج١٦، ١٠.

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

والايثار يكشف باطن الانسان ويعرفه حقيقة نفسه إذْ ليس من السهل أنْ يتجاوز الانسان حب الذات والدنيا ، فالإيثار يساعد على ارتقاء النفس وبلوغها الدرجات العالية، عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (الايثار أفضل عبادة وأجلّ سيادة)[2] ، وهذه الصفة تعين الانسان على بناء نفسه عن طريق ترويضها واتباع من آثروا بكل شيء يملكونه والاقتداء بهم.

الحلم: هو ضبط النفس عند الغضب ، وهو صفة تحمل صاحبها على ترك الانتقام مع قدرته على ذلك ، وهي دلالة على كمال العقل ، وقوة الارادة للسيطرة على النفس الأمّارة[3]. قال تعالى:﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾[4].

فالحلم قرين العلم، عن الامام الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله : والذي نفسي بيده ماجمع شيء الى شيء أفضل من حلم الى علم)[5] ، فالانسان مادام يعيش في هذه الدنيا فإنّ الأحداث والأمور المفاجئة والمواقف غير المتوقعة تطل برأسها ، فإذا لم يكن الانسان ذا حلم وسعة صدر فسرعان ماتشتعل فيه نار الغضب وتؤدي به الى الهلاك ، ولربما أفسدت عليه دينه ودنياه ، فينطفيء نور الايمان فالانسان المؤمن يكون حريصًا على دنياه ، وآخرته فيتحلى بملكة الحلم ليضبط نفسه ويكظم غيظه[6] .

العفو : هو أنْ يتجاوز الانسان عن الذين أساؤوا إليه ، وهي من أعظم الصفات الانسانية والكمالات الاخلاقية قال تعالى:﴿ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ

(١) سورة الحشر ، الآية : ٩.
(٢) غرر الحكم ، الامدي، تدقيق عبد الحسن دهيني ، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، توزيع دار الهادي بيروت- لبنان،٣٩٦ .
(٣) ظ : الاخلاق والآداب الاسلامية ،عبد الله الهاشمي،١٣٩.
(٤) سورة الفرق ، الآية : ٦٣.
(٥) مشكاة الانوار في غرر الاخبار ، الطبرسي، تح مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ ق -١٣٨١ ه ش ، مطبعة ستارة-قم . ،٢١٨
(٦) انوار الحياة ،١٠٥.

بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١] .

أكد الاسلام كثيرا على صفة العفو؛ لأنّها سبب رئيس في بناء الفرد المعنوي وتكامله الايماني، وهذه الصفة عامل رئيس في استقرار المجتمع وثباته ؛ لأنّها ركن من أركان الاصلاح، عن رسول الله ﷺ قال:(تعافوا تسقط الضغائن بينكم)[٢] ، والعفو على الرغم من أنّه صفة جميلة إلّا أنّه له موارد فبعض الاحيان يكون موضع العفو مذموما ، فإذا كان العفو عنصرا مساعدا على البناء والاصلاح ، ومعين الانسان على خط الاستقامة فهو مطلوب ، أمّا إذا كان عنصرا مساعدا على تكرار الاعتداء وانتهاك الحقوق فهو غير مرغوب ومنهي عنه[٣] ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : (جاز بالحسنة وتجاوز عن السيئة مالم يكن ثلما في الدين ، أو وهنا في سلطان)[٤] ، وأفضل العفو أنْ تعفو عمن ظلمك مع قدرتك على الاخذ بالحق ، لكن يتركه رجاء لعفو الله وثوابه قال أمير المؤمنين عليه السلام : (العفو مع القدرة جُنة من عذاب الله)[٥].

الأمانة : من أهم الفضائل الأخلاقية التي وردت في القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة ولها الأهمية الكبيرة على مستوى بناء الذات والشخصية ، وأيضا تقوية الروابط بين الناس في نظامهم الاجتماعي ، وهي صفة تربط الانسان بالله من جهة أفراد البشر ومن جهة أخرى تربطه بنفسه ؛ لأنّه في الحقيقة كل النعم أمانة بيد الانسان[٦] ، فالأمانة صفة ممدوحة في جميع الأديان السماوية ، وهي من الأسس الثابتة ، عن الامام الصادق عليه السلام قال: (إنّ الله عز وجل لم يبعث نبيا إلّا بصدق الحديث وأداء الامانة الى البر والفاجر)[٧] ، وعلى العكس

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٣٧.
(٢) مجمع الزوائد ، الهيثمي، حققه وخراحاديثه حسين سليم الداراني ، د.ط ، د.ت، دار المأمون للتراث بيروت –لبنان. ،ج٨، ٨٢.
(٣) ظ: انوار الحياة، ١٠٧.
(٤) تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، التميمي الامدي، تح.المصطفى الدّرايتي، ط١، د.ت، طباعة ونشر.مكتب الاعلام الاسلامي،قم المقدسة ، ٢٤٥.
(٥) المصدر نفسه ، ٣٤٢.
(٦) ظ: انوار الحياة، ١١٥.
(٧) اصول الكافي، الكليني ، ج٢، ١٠٤.

من ذلك الخيانة التي تعد من الذنوب الكبيرة ولاسيما اذا كانت الخيانة لله ورسوله ، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَّ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] ، يقول الامام أبو جعفر في تفسير هذه الآية: (فَخِيَانَةُ اللهَّ وَ الرَّسُولِ مَعْصِيَتُهُمَا، وَ أَمَّا خِيَانَةُ الْأَمَانَةِ فَكُلُّ إِنْسَانٍ مَأْمُونٌ عَلَى مَا افْتَرَضَ اللهُّ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِ)[٢]

إذنْ فالإنسان المؤمن الذي يتحرك في سلوكه من منطلق مراعاة الامانة في صورها المختلفة ويهتم بالحفاظ عليها لما لها من آثار ونتائج دنيوية وأخروية ، ومما ورد عن لقمان الحكيم حيث قال: (يابُنيّ، أدِّ الامانة تسلم لك الدنيا وآخرتك، وكن أمينا تكن غنيا) [٣].

العفة : صفة باطنية تمنع النفس ، وتحفظها من غلبة الميول والشهوات ، وهي من أعظم الفضائل الأخلاقية التي لايمكن لأي شخص أنْ يسير نحو الكمال من دون التحلي بها ، فكرامة الانسان وشخصيته رهينة بالتحلي بهذه الفضيلة الاخلاقية[٤] ، قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِي سَبِيلِ الله لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ الله بِهِ عَلِيمٌ ﴾[٥]؛ ولهذه الصفة آثار تربوية لمن تحلى بها ، كالقناعة يقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام: (على قدر العفة تكون القناعة)[٦] ، وأيضا الصبر على الشهوات ، وزكاة الأعمال عنه عليه السلام قال: (بالعفاف تزكو الأعمال)[٧] ، فصفة العفة من أهم الصفات التي تصقل نفس الانسان وتزكيها ؛ لتكون خالية من الشوائب طاهره تعينه على بناء نفسه للسير نحو الكمال.

(١) سورة الانفال ، الآية : ٢٧.
(٢) تفسير القمي، تح.المصطفى الدّرايتي، ط١، د.ت، طباعة ونشر.مكتب الاعلام الاسلامي،قم المقدسة. ج
(٣) معاني الاخبار ، الصدوق، تحقيق الاستاذ علي اكبر غفاري، ط٦، ١٤٣١هـ.ق ، طبع ونشر مؤسسة النشر الاسلامي،ايران-قم ،٢٥٣.
(٤) ظ : الاخلاق في القرآن الكريم ، ناصر مكارم الشيرازي، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ، مؤسسة أُم ابيها،لبنان ، ، ج٢ ، ٢٨٩.
(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣.
(٦) غرر الحكم ، التميمي الامدي ،٩٠٦٥.
(٧) المصدر نفسه ، ١٢٦.

قضاء الحوائج: الاسلام ليس منهج اعتقاد وايمان بالقلب فحسب ، بل هو منهج حياة واقعية يتجسد فيها ذلك الايمان والاعتقاد في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية ، من أجل التراحم والتكافل والاحسان ،قال تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى ﴾(١).

وقضاء حوائالانسان من أهم الأعمال التي حثّ عليها ، فقد وضع منهجا متكاملا للعلاقات بين أفراد المجتمع ، يقوم على أساس مراعاة الحقوق وحفظها ، عن رسول الله ﷺ قال: (من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله) (٢)؛ ولهذا فإنّ لقضاء حوائالمؤمنين وخدمتهم آثارا كبيرة عند الله تعالى، منها أنّها تبيح الجنة كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام (أوحى الله عز وجل الى داوود إنّ العبد من عبادي ليأتيني بالحسنة فأبيحه جنتي، قال: فقال داود عليه السلام: يا ربّ وما تلك الحسنة؟ قال: يدخل على عبدي المؤمن سرورا ولو بتمرة، قال: فقال داود عليه السلام: حقّ لمن عرفك أنْ لا يقطع رجاءه منك)(٣)، وقضاء الحوائمن أحبّ الأعمال الى الله تعالى وأفضل من العبادة (٤)، فالانسان الحريص على بناء نفسه ومجتمعه ، والمستعد لتأسيس ثقافة تربوية عليه أنْ يسعى لقضاء حوائالناس ، وأيضا لامانع أنْ يطلب المؤمن من أخيه المؤمن وليس في ذلك منّة منه على أخيه ، بل هو توفيق لخدمة المؤمنين يقول الامام الصادق عليه السلام (إنّ الرجل ليسألني الحاجة فأبادر بقضائها مخافة أنْ يستغني عنها فلا يجد لها موقعا إذا جاءته)(٥).

حسن الجوار: رابطة الجوار من الأمور المهمة في حركة المجتمع التكاملية ، وتأتي بعد رابطة الأرحام ولها الأثر الكبير على سير الأسرة ، ولهذا قرن الله عبادته والاحسان الى الوالدين والأرحام وبالاحسان للجار قال تعالى:﴿ وَاعْبُدُواْ الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا

(١) سورة المائدة ، الآية : ٢.
(٢) ثواب الاعمال، الشيخ الصدوق، ،ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. دار المتقين للطباعة والنشر،بيروت-لبنان، ص٢٨٨.
(٣) الكافي ، الكليني ، ج٢، ١٩٣.
(٤) ظ : انوار الحياة ،١٤٢.
(٥) عيون اخبار الرضا ، الصدوق، ط٢ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مؤسسة الاعلمي بيروت-لبنان. ،ج٢، ١٩٢.

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ ﴾[1] .

فقد رسم القرآن الكريم منهجًا موضوعيًا في العلاقات الاجتماعية يجمعه الاحسان إلى أفراد المجتمع وخصوصا المرتبطين برابطة الجوار، وحق الجار لا يُنظر فيه إلى الانتماء العقائدي، أو المذهبي بل هو شامل لكل انسان ، قال رسول الله ﷺ : (الجيران ثلاثة، فمنهم من له ثلاث حقوق: حَقّ الجوار، وحَقّ الاسلام ، وحَقّ القرابة ، ومنهم من له حقّان: حَقّ الاسلام ، وحقّ الجوار، ومنهم من له حقّ واحد: الكافر له حقّ الجوار)[2] ، وعلى الانسان أنْ يهتم في المنطقة التي يسكن فيها ، وأنْ يستطلع أحوال الذين سيجاورهم حتى لا يندم على اختياره المكان السيئ لسكناه ، عن رسول الله ﷺ حين سأله أحدهم أين يشتري داره فقال له:(الجار قبل الدار)[3] .

وللجار حقوق يجب مراعاتها : منها نصرته ومعونته ، وستر عوراته وعدم تتبع عثراته، ومعاشرته بالحسنى ، وإقالة عثرته وغفران زلته ، وكذلك مشاركته أفراحه وأحزانه ، ولتأدية هذه الحقوق آثار في الدنيا والآخرة منها: زيادة العمر والرزق وعمران الديار ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الاعمار)[4].

حُسن العشرة والصداقة : دين الاسلام دين عشرة وليس دين عزلة ، ورهبنة فهو ينظر الى الروابط البشرية نظر اهتمام وتقديس ؛ لذا فإنّ الغاية الأساسية من حسن العشرة ترتبط بضمان حفظ المجتمع ، وتثبيت أركانه وبناء علاقاته بين أفراده على اختلاف طبقاتهم، ومن وصايا الامام علي عليه السلام لبنيه عند احتضاره : (يابنيّ عاشروا الناس عشرة، إنْ غبتم حنوا عليكم، وإنْ فقدتم بكوا عليكم)[5].

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٦.
(٢) مستدرك الوسائل الميرزا النوري ،ج٨، ٤٢٤.
(٣) الكافي ، الكليني، ج٨، ٢٤.
(٤) المصدر نفسه ، ج٢، ٦٦٧.
(٥) الامالي ، الطوسي، ط١، ١٣٨٠هـ.ش، مط دار الكتب الاسلامية،طهران. ، ٥٩٥.

فمخالطة الناس ضرورة لا غنى عنها ، وقد حددت الروايات الشريفة حقوق هذه العشرة وآدابها؛ وذلك بالتمسك بلين الجانب والبشر ، والاحسان وغفران الزلات ، هذا وقد حدد أمير المؤمنين مجموعة من القواعد تكون ميزانا للعشرة والتعامل مع الناس، فقال: (يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ وَلَا تَقُلْ مَا لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ)[1].

وللصداقة الأثر الكبير في علاقة الانسان إذ لا يمكنه أنْ يعيش بعزلة وانفراد ، فالصديق له الأثر البالغ على صديقه فكريا وعمليا وأخلاقيا ، فالصالح يهدي الى الرشد والصلاح، والفاسد يقود الى الغي والفساد ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (عليك بإخوان الصدق ، فأكثر من اكتسابهم فإنّهم عدة عند الرخاء، وجُنّة عند البلاء) [2] ، فمسألة حسن اختيار الصديق من المسائل التي أكد عليها ، ووضع لها صفات ينبغي الوقوف عليها ؛ ليجري على أساسها انتخاب الصديق منها : أنْ يذكرك بالله والاخرة ، وأنْ يعينك على صلاح دينك ، ومعينا على الطاعة وكذلك يبصرك عيوبك ، فهذا هو الصديق الصدوق الذي ينبغي عليك أداء حقوقه التي أوجبها الاسلام بأنْ تحب له ماتحب لنفسك وتقضي حوائجه، ونصرته بالمواقف الصعبه ، وأنْ تعفو عن زلاته وتنفس كربته وتحفظه في غيبته[3].

موالاة المؤمنين:

تدعو الأخوة الايمانية الى موالاة المؤمنين ، والى التجرد من العلائق الأخرى، هذه الأخوة يصفها رسول الله بأنّها كالبنيان المرصوص (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

(١) نهج البلاغة ، ٣٩٧.
(٢) الامالي ، الصدوق، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، مؤسسة الاعلمي،بيروت-لبنان. ، ١٨٢.
(٣) ظ : انوار الحياة، ١٦٦.

بعضا)[1]، ومن هذا يتخذ المرء منهجا يعبر فيه عن موالاته الفعليه للمؤمنين ، فيكون معهم ومنهم ، يقول رسول الله ﷺ:(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[2]. وهذه الأخوة هي ثمرة من ثمار العقيدة الصحيحة يقول تعالى:﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء ﴾[3] فعبر عن المجتمع العقدي بأنّ بعضهم أولياء بعض ؛ لأنّ الأخوة لاتكون إلّا على أساس العقيدة فمن كان مشاركا لك في العقيدة الصحيحة ، وهي الولاية لمحمد وآل محمد والبراءة من أعدائهم فهو الأخ الذي له حقوق على الانسان أدائها.

نلحظ أنّ القرآن الكريم عبّر عن غير أصحاب العقيدة بعضهم من بعض قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ﴾[4] ذلك أنهّم يفقدون روح المودة والولاية بينهم.

المطلب الثالث – أقسام النفس وفق طبائعها عند أمير المؤمنين ﷺ .

إنّ الحديث عن النفس له أوجه عدة ، وجه لابدّ الحديث فيه عن خصائص هذه النفس، ووجه الحديث عن قواها التي أودعها الله فيها، ومن وجه آخر عن سبيل اصلاحها، فمعرفة هذه الأوجه أمر مهم.

في حديث كميل بن زياد[5] ، قال ﷺ:(سألت مولانا أمير المؤمنين ﷺ فقلت له : أريد أنْ تعرفني نفسي ، فقال ﷺ : يا كميل، وأي الأنفس تريد أنْ أعرفك؟ قلت : يا مولاي، هل هي إلّا نفس واحدة ؟ قال ﷺ : يا كميل، إنّما هي أربع : النامية النباتية، والحسية الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلية الإلهية ، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان.

فالنامية النباتية لها خمس قوى : جاذبة وماسكة وهاضمة ، ودافعة ومربية ، ولها

(١) بحار الانوار،المجلسي،٢٠/ ١٤٢.
(٢) م ، ن ،٢٠/ ١٤٢.
(٣) سورة التوبة ، الآية : ٧١.
(٤) سورة التوبة ، الآية :٦٧..
(٥) بحار الانوار ، المجلسي : ٥٨ / ٨٥

خاصيتان : الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، وهي أشبه الأشياء بنفس الحيوان، والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع وبصر وشم وذوق ولمس ، ولها خاصيتان : الشهوة والغضب، وانبعاثها من القلب، وهي أشبه الأشياء بنفس السباع ، والناطقة القدسية ولها خمسة قوى : فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث ، وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية ، ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة ، والكلية الإلهية ولها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعزّ في ذلّ ، وغنى في فقر، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه هي التي مبدؤها من الله واليه تعود).

وأدناه جدول يوضح تقسيم النفس وفق تقسيم أمير المؤمنين ﷺ:-

[النفس] [القوى الخمس] [الخاصيتان] [الانبعاث]

النامية النباتية	جاذبة	ماسكة	هاضمة	دافعة	مربية	الزيادة	النقصان	الكبد
الحسية الحيوانية	سمع	بصر	شم	ذوق	لمس	الشهوة	الغضب	القلب
الناطقة القدسية	فكر	ذكر	علم	حلم	ناهة	النزاهة	الحكمة	لايوجد
الكلية الالهية	بقاء في فناء	نعيم في شقاء	عز في ذل	غني في فقر	صبر في بلاء	الرضا	التسليم	مبدؤها من الله واليه تعود

إنّ الرواية تصنف النفس إلى أربعة أصناف ، وإنّ كتاب القرآن الكريم ذكر ثلاثة أقسام ،حيث نجد أنّ تصنيف أمير المؤمنين ﷺ هو اختلافها بحسب الترقي، فأمّا أنْ تكون أشرف النفوس ، أو أخسّ النفوس بحسب مالها من الخواص والقوى ، وأمّا ذكرها في القرآن الكريم فهي حسب مالها من القابلية على الهداية ، أو الضلال الذي يترتب عليه نجاة

الانسان.

ثم يأتي الامام علي ﷺ يعرّف هذه الانفس:

قال: يا مولاي ما النباتية؟

قال ﷺ: (قوة أصلها الطبائع، بدء إيجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الأغذية، فعلها النمو والزيادة، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة).

فقال: ما النفس الحيوانية؟

قال ﷺ (قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك، بدء إيجادها عند الولادة الجسمانية، فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الأموال، والشهوات الدنيوية، مقرها القلب، وسبب فراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها فيضمحل تركبها).

فقال: ما النفس الناطقة القدسية؟

قال ﷺ: (قوة لاهوتية، بدء إيجادها عند الولادة الدنيوية، مقرها العلوم)[1]

فنلاحظ أنّ النباتية التي نبتت في جسم الانسان وتنمو فيه وتتفرع ، فهي المسؤولة عن النمو فيحدث القبظ والبسط والهضم ، ومسك الاشياء وجذبها وتكون أمّا زيادة ، أو نقصان وانبعاثها من الكبد ؛ لأنّ الكبد هو المسؤول عن افراز تلك الأنزيمات والهرمونات، وعصارات الجسم واحتياجاته أمّا الحيوانية التي تبرز الحياة ومصدر الرضا فانبعاثها من القلب ، أمّا الناطقة القدسية فسميت بالنطق لأنّها حركات مقصودة ، والحركات المقصودة تحتالى علم وحلم ونباهة ، ونزاهة وحكمة بعيدة عن العبث ولا يوجد لها انبعاث ؛ لأنّها ناطقة قدسية مصدرها خارجي ، فالبعض يمتلك نفس نباتية وحيوانية ، وليس لديه ناطقة قدسية لعدم اتصاله بالله تعالى وأهل البيت ﷺ ، فنجد لديه العبث والجهل ولا يمتلك

(١) التعليقة على الفوائد الرضوية ، القاضي سعيد القمي، ط١، ١٣٧٥، مط مؤسسة العروج، ايران، ١١٠ .

الحكمة والمعرفة لأنّها تأتي من الله ، وأهل البيت ﷺ للذي يجدونه أهلًا لذلك ، أمّا الكلية الآلهية ففيها البقاء والفناء لأنّ وجه الله عزّ وجلّ باقي بعد فناء كل شيء ، وعلى شدّة تعلق المخلوق بالخالق يبقى رغم الفناء ، ونعيم في شقاء فيشعر بالنعيم وهو في الشقاء ، أي ظاهره في شقاء وباطنه إنّه في نعيم ، يعيش في نعيم ؛ لأنّه يعرف أين هو بالرضا والتسليم لأهل البيت ﷺ وعدم الاعتراض على كل مايصيبه.

إنّ أهل البيت ﷺ هم النور الذي يضيء به قلب وعقل المؤمن ، فلديهم القدرة على تطهير النفوس وهدايتها وعلمهم بالضمائر، جاء في الزيارة الجامعة : (جعل صلواتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيبا لخلقنا وطهارة لأنفسنا)[1] ، وبهم يُستعان في الشدّة والرخاء ، وينخلع الفرد عن الاخلاق الذميمة ، ويتوجّه لإصلاح نفسه لتسمو وترتقي، وقد أثبت منهج أهل البيت ﷺ قدرته على بناء الانسان وتطويره ، فقد تخرّج على هذا المنهج آلاف الشخصيات التي كانت قمة في السمو الروحي والتكامل النفسي والسلوكي .

سؤال يتبادر الى الذهن..

في قوله تعالى :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[2]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[3]

من الذي يزكّي الأنفس هل هو الله (عزّ وجلّ) أم الانسان نفسه؟

وبما إنّ محورنا يدور حول كلام أهل البيت ﷺ فنجد الاجابة عند أبي عبد الله ﷺ قال: وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا ،قَالَ:«هُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُسْتُورُ وَ هُوَ عَلَى الْحَقِّ» وَ قَوْلُهُ: فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا ،قَالَ:«عَرَفَتِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ،فَذٰلِكَ قَوْلُهُ: وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا » قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا،قَالَ:«قَدْ أَفْلَحَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا اللهُ وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا الله).[4] قد أفلحت نفسٌ زكاها الله ، أي الله سبحانه وتعالى يزكي الأنفس ، لكن الله عز وجل لديه عباد مكرمون

(١) البلد الامين ، الشيخ الكفعمي، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،بيروت -لبنان ،٤٢٢.

(٢) سورة الشمس ، الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٩ .

(٤) البرهان ، هاشم الحسيني البحراني : ٥/ ٦٧٢ .

يديرون شؤون الخلق ، فالتزكية تأتي من قبل العباد الذين خصهم الله بذلك .

إنّ رسول الله ﷺ وذريته الطاهرة عليهم السلام من يعطون التزكية ، قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ،[1] ، من هذه الآية يتضح أنّ من الأمور التي بعث الله اليها رسوله الكريم ﷺ هي التزكية (ويزكيهم) ، وتوجيه الانسان لبناء وتقوية الجهة الانسانية ؛ لأنّه لو ضحّى بذاته الانسانية فداءً لاهوائه وميوله الحيوانية فسيلقى ضررا كبيرا[2] .

إنّ التزكية تأتي من الله (عزوجل) عن طريق أهل البيت عليهم السلام يعطيها للمؤمن الذي جعل قلبه وعاء للحق ، ويقوم بزرع الأخلاق الحسنة، لأنّ من شأن الباطل أنْ يجعلَ قلب الانسان ظلامًا دامسا لايرى الخير أبدا ، وبالتالي سيقوم بزرع الأخلاق السيئة كالحقد والحسد ، والغيبة والنميمة وغيرها .

فكيف يتبين للانسان الحق من الباطل ؟

في ظل الاوضاع المختلفة التي تحدث في حياة الانسان ، هنالك فتن يختلط فيها الحق بالباطل فتزداد أهمية البصيرة لدى الانسان للتمييز بين الحق والباطل ، إذ يتمتع الانسان بمواهب عقلية تجعله كائنا حيا فريدا ومختارا ، وقادرا عن طريقها للوصول الى الكمال النفسي والفكري ، وهو مجهز بالقدرة على التمييز بين الخير والشر ، ونفسه تحب الميل الى الخير ، وعلى الرغم من كونه مركبا من مزيمادي ومعنوي ومن عقل وشهوة ، فإنّه عن طريق تربيته وتأديبه لنفسه ، وصقلها بالعلوم والمعارف قابل للاستزادة ، والترقي في غاياته والوصول الى علاقة صحيحة بينه وبين نفسه ، بحيث لا يظلمها ولا يحملها أوزارا هو في غنىً عنها ، ولا يشتبه عليه طريق الخير بالباطل[3] .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٤ .

(٢) ظ: تزكية النفس وتهذيبها ، ابراهيم الاميني ، ط ٤ ، مط دار البلاغة ، بيروت – لبنان ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م ، ١٤ .

(٣) ظ: فلسفة التربية الفقهية ، محمد احمد حجازي العاملي ، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، مط دار المؤرخ العربي-بيروت، ١٣٩ ، ١٤٠ .

فكلّ ما في الانسان من ظلمات في هذه الدنيا هو نتيجة التعلّق بها وبأوهامها وخرافاتها وزخارفها ، وإنّ الله بعث الأنبياء لتخليص الانسان من هذه الزخارف الدنيوية ، والشهوات النفسية التي تخالف طبيعته وفطرته وإدخاله إلى عالم النور، والإسلام هو خير دين للوصول إلى هذه الأهداف ، ووظيفة الدعاء تتلخص في تهيئة النفوس للتخلص من الشهوات التي تدمر الإنسان والتحرر من تلك الزخارف ، التي قادت الإنسان إلى الضياع والحيرة عن الوصول إلى الإنسانية الحقيقية ، وطريق الإنسانية هو الصراط المستقيم الذي أشار إليه الأئمة في أدعيتهم ومناجاتهم [١] .

وإنّ أعدى أعداء الانسان هي نفسه ، وهي دائما في حرب وصراع مع العقل تستلهم حركتها من وساوس الشيطان ، وتهاجم العقل مع جنوده حتى تزويه وتطفأه ؛ لكي تكون لها كلمة الفصل في ساحة المعركة ، فليس من السهل القضاء على هذا العدو إذ يحتاج الانسان إلى عقيدة صحيحة والى عزم وثبات ، ومقاومة وجهاد مستمر حتى آخر العمر، ومحاربة بصلابة حتى تُروّض النفس وتُسيطر على الغرائز ، وتُستلهم السبل والوسائل من ارشادات النبي ﷺ والائمة الاطهار عليهم السلام ، وأنْ نقف في وجه تجاوزات النفس وتعدياتها ، وأنْ تحاصر جنودها وتقضي عليهم ، حتى ترتقي في السير والارتقاء [٢] .

أمّا الشيطان الرجيم فليس له سلطان على عباد الله الصالحين ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٣]﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[٤]، ولكن الغاوين يتبعونه ويجعلون له سلطانًا عليهم ، فهو يزين لهم الطريق ويرسم لهم الخطوات وهم عبر انقيادهم الى حب الشهوات انقادوا اليه ، قال الله عز وجل :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ

(١) ظ: صحيفة الامام ، الخميني ، ت ١٤٠٩ هـ ، ط ١ ، مط مؤسسة تنظيم اثار امام خميني ،ايران:١٣/ ٣٣.
(٢) ظ: تزكية النفس وتهذيبها ، ابراهيم الاميني ، ٦٥ .
(٣) سورة الحجر ، الآية : ٤٢
(٤) سورة النحل ، الآية : ١٠٠ .

حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1]، فصيانة النفس من الانحراف والضلال، والارتقاء بها نحو التطور والبناء تكمن في سيرها باتجاه أهل البيت عليهم السلام، والامتثال لأوامرهم والابتعاد عن ما نهوا عنه.

والله ولي التوفيق

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الأخلاق في القرآن الكريم ،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م ، مؤسسة أُم ابيها ،لبنان .

٣. الأخلاق والآداب الاسلامية ،عبد الله الهاشمي ،ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، طباعة دار القارئ بيروت-لبنان ، توزيع مكتبة دار المجتبى العراق -النجف الاشرف .

٤. أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ،ت٣٢٩هـ ، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ، طباعة ونشر دار المرتضى ، بيروت-لبنان .

٥. الأمالي ، الشيخ الطوسي، ت ١٠٦٧هـ ، تح بهراد الجعفري-الاستاذ علي اكبر غفاري، ط١، ١٣٨٠هـ.ش، مط دار الكتب الاسلامية،طهران.

٦. أمالي الصدوق ، للشيخ الصدوق، ت٣٨١هـ، قدم له.الشيخ حسين الاعلمي، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، مؤسسة الاعلمي،بيروت-لبنان.

٧. أنوار الحياة ، اعداد جمعية المعارف الاسلامية-مركز نون للتاليف والترجمة، ط١ ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م ، نشر دار المعارف الاسلامية الثقافية .

٨. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار عليهم السلام، الشيخ محمد باقر المجلسي، ت١١١١هـ ، تحقيق وتصحيح لجنة من العلماء والمحققين ، ط١ ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ، منشورات مؤسسة الاعلمي بيروت-لبنان.

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤.

٩. البرهان في تفسير القرآن ، السيد هاشم البحراني ، ت١١٠٧هـ ، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الاخصائيين ، ط٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ، مطبعة ولي العصر، ايران-قم ، مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات .

١٠. تزكية النفس وتهذيبها ،ابراهيم الاميني، ط ٤ ، مط دار البلاغة ، بيروت - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

١١. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الامدي،ت٥٥٠هـ، تح.المصطفى الدّرايتي، ط١، د.ت، طباعة ونشر.مكتب الاعلام الاسلامي،قم المقدسة.

١٢. التعليقة على الفوائد الرضوية، الموسوي الخميني، ت ، ط١، ١٣٧٥، مط مؤسسة العروج، ايران.

١٣. تفسير القمي ، علي بن ابراهيم القمي، ت ٣٢٩هـ ، تح.مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه، ط١، ١٤٣٥هـ، نشر مؤسسة الامام المهدي عجل الله فرجه،قم المقدسة.

١٤. ثواب الأعمال وعقاب الاعمال، الشيخ الصدوق، ت٣٨١هـ. ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. دار المتقين للطباعة والنشر،بيروت-لبنان.

١٥. صحيفة الإمام الخميني، ت ١٤٠٩ هـ ، ط١ ، مط مؤسسة تنظيم اثار امام خميني،ايران :١٣/ ٣٣.

١٦. عيون اخبار الرضا ، للشيخ جعفر الصدوق، ت٣٨١هـ، صححه وقدم له الشيخ حسين الاعلمي، ط٢ ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، مؤسسة الاعلمي بيروت-لبنان.

١٧. غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ،عبد الواحد التميمي الامدي، ت٥٥٠هـ ،تدقيق عبد الحسن دهيني ، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م، المؤسسة الفكرية للمطبوعات، توزيع دار الهادي بيروت- لبنان .

١٨. فلسفة التربية الفقهية عند الامام الصادق عليه السلام ، محمد احمد حجازي العاملي، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، مط دار المؤرخ العربي -بيروت.

١٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ نور الدين الهيثمي ،ت ٨٠٧هـ ، حققه وخراحاديثه حسين سليم الداراني ، د.ط ، د.ت، دار المأمون للتراث بيروت-لبنان.

٢٠. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، الميرزا حسين النوري الطبرسي ، ت ١٣٢٠هـ، تح مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ، ط٣، ١٤١١هـ-١٩٩١م . د.ط .

٢١. مشكاة الانوار في غرر الاخبار، الشيخ علي بن الحسين الطبرسي ، تح مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، ط١ ، ١٤٢٣هـ ق -١٣٨١ هـ ش ، مطبعة ستارة-قم .

٢٢. معاني الأخبار، الشيخ الصدوق ، ت ٣٨١هـ. تحقيق الاستاذ علي اكبر غفاري، ط٦، ١٤٣١هـ.ق ، طبع ونشر مؤسسة النشر الاسلامي،ايران-قم .

٢٣. مفاتيح الجنان ، الشيخ عباس القمي ،ت ١٣٥٩هـ، تح .مجمع الامام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت(عليهم السلام)، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، دار الوارث للطباعة والنشر، العراق-كربلاء المقدسة، العتبة الحسينية المقدسة.

٢٤. ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ، طباعة دار الحديث، توزيع دار احياء التراث العربي ،بيروت-لبنان ،

٢٥. نهج البلاغة ، خطب الامام علي عليه السلام ، شرح الشيخ محمد عبده ، ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م ، شركة الاعلمي للمطبوعات ،طُبع باشراف العتبة الحسينية المقدسة .

٢٦. وسائل الشيعة الى تحصيل مقاصد الشريعة، الحر العاملي ، ت١١٠٤هـ ، قدم له السيد شهاب الدين المرعشي ، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م ، طباعة ونشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت-لبنان .